شعريَّةُ الأداءِ التصويريِّ في كلامِ علي بن الحسين– المناجياتُ الخمسَ عشرةَ اختياراً

أ.د. عقيل جاسم دهش
مركز دراسات الكوفة/ جامعة الكوفة

المقدمة:

تعدُّ الصورة من مستلزمات التعبير الفني، وهي مظهر من مظاهر الفن والجمال في النصوص الأدبية ومؤشر قوي على عبقرية المبدع، وهي التي تكسب الكلام صفة الشعرية، وتتجلى فيها براعة المبدع في ترسيخ المعنى في ذهن المتلقي وإثارة انفعالاته.

ويقوم البحث على فرضية مفادها أنَّ الإمام (ع) عمد في مناجياته الخمس عشرة الى توظيف الصورة الفنية بالاعتماد على تقنيات متعددة تقوم على الفطنة والثراء اللغوي للتعبير عن المعاني بطريقة فنية تمكنه من خلق عنصر الاستغراب أو التعجيب لزيادة التأثير الانفعالي في نفس المتلقي ودفعه باتجاه إجراء التعديل السلوكي المرتقب.

واستدعت فرضية البحث أن أخصص له ثلاثة مباحث وخاتمة، تناول الأول (تقنيات تشكيل الصورة) وتوزع في أربع فقرات هي (التضاد، البنية الاسمية، البنية الفعلية، الاستعارة)، وتناول الثاني (أثر القرآن الكريم في تشكيل الصورة) وتوزع في فقرتين هما (اللفظ، التناص)، في حين اختص الثالث بدراسة الأسلوب وتوزع في ثلاث فقرات هي (الاستفهام، الأمر، النهي)، أمّا الخاتمة فقد استعرضت فيها النتائج التي توصلت إليها من خلال قراءة النصوص وتحليلها والكشف عن دلالاتها ومقاصدها.

المبحث الأول: تقنيات تشكيل الصورة:

١. التضاد:

تعدُّ علاقة التضاد من أهمّ تجلّيات شعريّة النص الإبداعي، وهو من أكثر الأساليب فاعليّة في خلق البنى النصيَّة الإبداعية، التي تستدعي حضورا فكريّا ونفسيّا للمتلقّي في النص الإبداعي، لما يحدثه من خرق أو انحراف في بنية النص قادر على إحداث خرق من نوع آخر، هو خرق في أسلوب التفكير عند المتلقّي والتحرر من سلطان المألوف والطبيعي، وهوما يدفع به إلى مزيد من التفاعل مع النص ويستدعي منه حضورا ذهنيّا متميّزا للكشف عن أغوار النصّ ودلالاته بمزيد من التأمّل والتفكير، يقول كمال أبو ديب: إنّ ازدياد درجة التضاد ثم البلوغ الى التضاد المطلق قادر على توليد طاقة أكبر من الشعرية[١].

ورد التضاد بين (أخافني) و (أشعرني بالأمن) في قوله (وَإنْ كَانَ جُرْمِي قَدْ أَخافَنِي مِنْ عُقُوبَتِكَ، فَإنَّ رَجآئِي قَدْ أَشْعَرَنِي بِالاَمْنِ مِنْ نِقْمَتِكَ)[٢] إذ بني النص على التضاد، بوصفه صراعا بين قوتين، والتوازن بين طرفي المعادلة، أو بين الشرط والجزاء، من خلال دخول (قد)، التي تفيد التحقيق والتأكيد، واستعمال الفعل الماضي، وصيغة (أفعلَ)، ومجيء الفاعل ضميرا مستترا، واتصال الفعل بياء التكلم، ومجيء (من) لابتداء الغاية، واستعمال المصدر وإضافته الى كاف الخطاب في كلا الطرفين، وقد عمل التضاد على زيادة التأثير الانفعالي في نفس المتلقي، من خلال تفريغ مشاعر الخوف والاضطراب والقلق، ونقل المتلقي من الشعور السلبي الى الشعور الإيجابي من خلال ترجيح كفة الشعور بالأمن والسكون والاطمئنان بجعلها جوابا للشرط.

وورد بين (تصاغر) و (تعاظم) في قوله (إلهِي تَصاغَرَ عِنْدَ تَعاظُمِ آلائِكَ شُكْرِي)[٣] إذ تجسَّد من خلال التضاد الصراع بين نعمة الخالق وشكر المخلوق، وأيُّ قيمة لشكر الناقص المحدود الفقير الضعيف الذي لا يدفع عن نفسه ضرا ولا يجلب لها نفعا في إزاء آلاء الخالق التي لا تعد ولا تحصى ولا يعتريها نقص أو أفول، وكأن الشكر قد ألجم وانكمش وقلَّ خطره وانطفأ نوره وانمحى أثره بتعاظم النعم وهيمنتها واستحواذها واتساع خطرها وقوة تأثيرها وشمولها.

كما وردِ بين (أوحش) و (آنس) أو بين البعد عن الله والقرب منه سبحانه في قوله (وَإِنْ أَوْحَشَ ما بَيْنِي وَبَيْنَكَ فَرْطُ الْعِصْيانِ وَالطُّغْيانِ، فَقَدْ آنَسَنِي بُشْرَى الْغُفْرانِ وَالرِّضْوانِ) [٤] وذلك لأن البعد سبب في العزلة والقلق والاستيحاش واحتقار الذات في قبال القرب الذي هو مدعاة للأنس والسكينة والرضا عن الذات، فالمعصية هي عدول عن الطريق الذي رسمه الله تعالى لعبده، والطغيان هو زيادة في الانحراف عن ذلك الطريق ومجاوزة للحد والتمادي في الغي والضلال والعناد، وكلاهما يستوجب مقتُ الله للعبد وبعده عنه ونبذه إياه، وهنا يأتي دور التضاد لإحداث النقلة في التوجه والشعور وفي العدول الدلالي الى الأنس والاستبشار والمغفرة والرضوان، وهذا العدول قابله عدول في بنية النص من خلال إحداث مسافة التوتر بفعل التضاد لزيادة التفاعل بين المتلقي والنص من خلال ترقُّبه أو توقُّعه لما سيأتي لإحداث التأثير الانفعالي ودفعه باتجاه إجراء التعديل السلوكي المرتقب:

إن أوحش بيني وبينك فرط العصيان والطغيان..... فقد .... الخيارات المتاحة:

-هلكتُ

-استوجبتُ العقاب

-اعتراني الخزي والهوان

إن أوحش بيني وبينك فرط العصيان والطغيان فقد آنستني بشرى الغفران والرضوان!!

٢. البنية الاسمية:

تستعمل البنية الاسمية في الأغلب للدلالة على الثبوت والاستقرار. وقد وظّفت في كلام الإمام (ع) للتعبير عن البعد النفسي للإنسان المؤمن في مناجاته لله عز وجل والتضرع إليه فضلا عن وظيفتها الدلالية المتمثلة في تأكيد المعنى المقصود وترسيخه في ذهن المتلقي.

وقد وردت البنية الاسمية في قوله (إلهي أنت الذي فتحت لعبادك بابا الى عفوك)[٥] لتأكيد المعنى وترسيخه في الذهن، وهذا غاية الأدب مع الله تعالى من حيث الإقرار والتسليم له بأنه الرب المعبود المستحق للإلوهية من خلال تأكيد قدرته وهيمنته على الوجود لأن عفو الله منوط بقدرته، والإنابة إليه دليل على سطوته وإحكام قبضته على خلقه وهيبتهم من جبروته وخشيتهم من سخطه وانتقامه.

وفي قوله (ها أنا متعرض لنفحات روحك وعطفك ومنتجع غيث جودك ولطفك) [٦] لإثبات المعنى وتأكيده للإفصاح عن صدق النية وصفاء السريرة وبعد الهمة والعزيمة على الإقبال الخالص نحو الخالق سبحانه والتوجه الحقيقي إليه والاتكال عليه وحده في تصريف الأمور واستنزال الخير وتيسير الرزق وقضاء الحاجات.

وفي قوله (وهذا مقام من اعترف بسبوغ النعماء وقابلها بالتقصير وشهد على نفسه بالإهمال والتضييع) [٧] للدلالة على الثبوت والاستقرار النفسي ومطابقة القول للاعتقاد والإفصاح عن حقيقة الشعور بالتقصير إزاء الخالق الذي لا يبرح يغمر عباده بالعطاء ويسبغ عليهم بالنعماء والشعور بالذنب تجاه تضييع فرصة القرب من الله والظفر بمرضاته.

وفي قوله (جِباهُهُمْ سَاجِدَةٌ لِعَظَمَتِكَ، وَعُيُونُهُمْ ساهِرَةٌ فِي خِدْمَتِكَ، وَدُمُوُعُهُمْ سآئِلَةٌ مِنْ خَشْيَتِكَ، وَقُلُوبُهُمْ مُتَعَلِّقَةٌ بِمَحَبَّتِكَ، وَأَفْئِدَتُهُمْ مُنْخَلِعَةٌ مِنْ مَهابَتِكَ) [٨] لتأكيد المعاني وتحبيبها الى النفوس في معرض التذكير والموعظة وذلك أن المؤمن الحق هو الذي يتصف بصفات ثابتة فيه ودالة عليه فما أن يذكر اسمه بين الخلائق حتى يشار الى هذه السمات وكأنه تلبّس بها وتلبّست به وصار يدعى بها وصارت لا تعرف إلاّ به، وهي دعوة خالصة من الإمام (ع) الى عامة الناس في كل زمان ومكان الى التحلي بتلك الصفات وترويض النفس عليها إذا ما أرادوا أن يتذوّقوا حلاوة الإيمان ولذّة الخشوع ويستشعروا صفاء الروح ونقاء السريرة والوجدان.

وفي قوله (أَنْتَ لاَ غَيْرُكَ مُرادِي، وَلَكَ لا لِسِواكَ سَهَرِي وَسُهادِي، وَلِقاؤُكَ قُرَّةُ عَيْني، وَوَصْلُكَ مُنى نَفْسِي، وَإِلَيْكَ شَوْقِي، وَفِي مَحَبَّتِكَ وَلَهِي، وَإِلى هَواكَ صَبابَتِي، وَرِضاكَ بُغْيَتي، وَرُؤْيَتُكَ حاجَتِي، وَجِوارُكَ طَلَبِي، وَقُرْبُكَ غايَةُ سُؤْلِي، وَفِي مُنَاجَاتِكَ رَوْحِي وَراحَتِي، وَعِنْدَكَ دَوآءُ عِلَّتِي، وَشِفآءُ غُلَّتِي، وَبَرْدُ لَوْعَتِي، وَكَشْفُ كُرْبَتِي) [٩] للدلالة على الثبوت والاستقرار ومطابقة القول الظاهري للاعتقاد الباطني وأن المعاني المذكورة هي أمور ملموسة و حقائق محسوسة، وذلك لأن القرب من الله تعالى ووصاله والظفر برضاه هو الغاية الأسمى ومنية نفس المؤمن وطلبته ومراده وأن الشكوى إليه وحده سبحانه إقرار له بالقوة واللطف وتسليم لإرادته وحسن ظن به، أما الشكوى لغيره فذل للعبد وسوء ظن منه بربه وخالقه وكذلك فإن الوجد والشوق واللوعة والسقم سمات العاشق المتيّم بمعشوقه ولا شك أن حب الله تعالى يسمو على حب البشر لأنه أمل العارفين وغاية المحبين ودليل التائهين ومنتهى طلب السائلين وهو الرحمن البر الرحيم الحنان المنان الجواد ذو الفضل والإحسان الذي تتطلع إليه العيون المفتونة وتشتاق إليه القلوب المشغوفة وتتوق الى قربه ووصاله النفوس الزكية الملهوفة.

٣. البنية الفعلية:

تستعمل البنية الفعلية في الأغلب للدلالة على التحوّل والتغيير. وقد وظّفها الإمام في مناجياته للتعبير عن حالة القلق والاضطراب التي تنتاب الإنسان لحظة الشعور بالندم على موقف معيّن أو التقصير إزاء التوجه الخالص أو العبادة الحقّة لله تعالى أو الشعور بالذنب إزاء الخطيئة أو المعصية، ويأتي هذا الأسلوب من الإمام في معرض الوعظ والتوجيه للأمّة لإجراء التغيير السلوكي المطلوب من جهة ومن جهة أخرى في معرض التذلل والخضوع للخالق سبحانه وتنزيل النفس– مهما بلغت من السمو– منزلة الشيء المتناهي في الصغر في قبال مقام الذات الإلهية المقدّسة.

وقد وردت البنية الفعلية في قوله (إلهِي أَلْبَسَتْنِي الْخَطايا ثَوْبَ مَذَلَّتِي) [10] للدلالة على التحول والانسلاخ عن الفطرة التي فطره الله عليها لكون الإنسان يولد نقيا طاهرا عزيزا ذا قيمة عليا وإن الذنوب والمعاصي يلوثانه ويحطان من شأنه ويسلبانه إنسانيته التي من أبرز سماتها القدرة على التفكير وكبح الغرائز والاستعداد الى السمو، وبهذه السمات فضله سبحانه وتعالى على سائر الكائنات وخصه بالتكريم والحفاوة والاستخلاف والاصطفاء والمنزلة العظيمة.

و في قوله (قَدْ مَلأَ بِالْوَسْواسِ صَدْرِي، وَأَحاطَتْ هَواجِسُهُ بِقَلْبِي يُعاضِدُ لِيَ الْهَوى، وَيُزَيِّنُ لِي حُبَّ الدُّنْيَا) [11] إذ أدَّت البنية الفعلية وظيفة مزدوجة فهي من جهة أفادت تغطية البعد الحركي للمشهد الذي صور لنا الهواجس جيشا أو كتيبة من المقاتلين وقد زحفت إليه وأحاطت به وضربت حصارا على قلبه، وكأني أسمع حركة الوساوس وهي تجيش في صدره والمخاوف وهي تحكم قبضتها على قلبه وتروح وتغدو عليه لتسلبه الدعة والسكينة وتجعله في قلق واضطراب دائمين، ومن جهة أخرى أفادت الدلالة على التحول والانتقال من حالة الى أخرى إذ كان صدره فارغا ساكنا مطمئنا وإذا به تملؤه الوساوس وتجعله مثقلا مضطربا وإذ كان قلبه حرا طليقا وإذا به يغدو محاصرا أسيرا للمخاوف والقلق والحيرة.

وفي قوله (فَأَخْلِصْنِي بِخالِصَةِ تَوْحِيدِكَ، وَاجْعَلْنِي مِنْ صَفْوَةِ عَبِيدِكَ) [12] إذ جاءت البنية الفعلية للدلالة على التحول والانتقال من التلوث العقدي الى نقاء الإيمان وطهارته ومن دائرة الشك وحيرة الشبهة الى اليقين والاطمئنان والتسليم المطلق، وكذلك من حالة البعد والإعراض والمقت الى حالة القرب والصفوة والرضوان والعبودية الحقة التي لا يشوبها شيء من الكبر أو الهوى.

وفي قوله (إلهِي تَصاغَرَ عِنْدَ تَعاظُمِ آلائِكَ شُكْرِي وَتَضاءَلَ فِي جَنْبِ إِكْرامِكَ إِيَّايَ ثَنآئِي وَنَشْرِي) [13] للدلالة على التغيّر والانتقال من حالة أو هيئة الى أخرى إذ خيّل لنا الشكر جرما كبيرا أخذ يتناقص شيئا فشيئا بمؤثر مضاد حتى يصغر أو يتلاشى ويفقد قيمته ويضعف أثره أو شخصا عزيزا منيعا في عشيرته وقومه

فإذا بالزمان يجرُّ عليه بالدواهي حتى يصبح ذليلا مشردا كما خيَّل لنا الثناء جرما مضيئا أو مصباحا منيرا بدأ يخفت ضوؤه شيئا فشيئا حتى فقد خواصه وانعدم تأثيره.

وفي قوله (جَلَّلَتْنِي نِعَمُكَ مِنْ أَنْوَارِ الإيْمانِ حُلَلاً، وَضَرَبَتْ عَلَيَّ لَطآئِفُ بِرِّكَ مِنَ الْعِزِّ كِلَلاً، وَقَلَّدَتْنِي مِنْكَ قَلائِدَ لا تُحَلُّ، وَطَوَّقَتْنِي أَطْوَاقاً لا تُفَلُّ) [١٤] للدلالة على التحول والانتقال من ظلمة الضلال الى نور الإيمان ومن عري الذل الى حجب العز وكلله ومن فضاء الإعراض والإهمال والمقت الى قيد الود والوصال والقربى.

وفي قوله (اللَّهُمَّ احْمِلْنا فِي سُفُنِ نَجاتِكَ، وَمَتِّعْنا بِلَذِيْذِ مُناجاتِكَ، وَأَوْرِدْنا حِياضَ حُبِّكَ، وَأَذِقْنا حَلاوَةَ وُدِّكَ وَقُرْبِكَ، وَاجْعَلْ جِهادَنا فِيكَ، وَهَمَّنا فِي طاعَتِكَ، وَأَخْلِصْ نِيَّاتِنا فِي مُعامَلَتِكَ) [١٥] وذلك لتغطية البعد الحركي الذي يسيطر على المشهد كله من ركوب السفن وورود الحياض وطي المسافة الى الله تعالى الى حركة أعضاء النطق في حال الاشتغال بالذكر والمناجاة وحركة مجاهدة النفس والصراع مع الشهوات والانشغال بالطاعات والعبادات.

وفي قوله (إلهِي أَذْهَلَنِي عَنْ إقامَةِ شُكْرِكَ تَتابُعُ طَوْلِكَ، وَأَعْجَزَنِي عَنْ إحْصآءِ ثَنآئِكَ فَيْضُ فَضْلِكَ، وَشَغَلَنِي عَنْ ذِكْرِ مَحامِدِكَ تَرادُفُ عَوآئِدِكَ، وَأَعْيانِي عَنْ نَشْرِ عوارِفِكَ تَوالِي أَيادِيكَ) [١٦] إذ استعمل البنية الفعلية للدلالة على التحول من حركة الإحسان والفضل وهو يفيض ويتدفق ويغمر المكان أو الحيز الذي يشغله وتتابع العوائد التي يعقب بعضها بعضا وتدفق النعم التي يتلو بعضها بعضا الى سكون الذهول والعجز والغفلة والإعياء.

وفي قوله (اللَّهُمَّ أَلْهِمْنا طاعَتَكَ، وَجَنِّبْنا مَعْصِيَتَكَ، وَيَسِّرْ لَنا بُلُوغَ ما نَتَمَنّى مِنِ ابْتِغآءِ رِضْوانِكَ، وَأَحْلِلْنا بُحْبُوحَةَ جِنانِكَ، وَاقْشَعْ عَنْ بَصائِرِنا سَحابَ الارْتِيابِ، وَاكْشِفْ عَنْ قُلُوبِنا أَغْشِيَةَ الْمِرْيَةِ وَالْحِجابِ، وَأَزْهِقِ الْباطِلَ عَنْ ضَمآئِرِنا، وَأَثْبِتِ الْحَقَّ فِي سَرائِرِنا) [١٧] للدلالة على التحول والانتقال من وضع الى آخر مغاير ، ومعالم هذا الوع المغاير الجديد هي التلبُّس بالطاعات والابتعاد عن المعاصي وبلوغ درجة المقربين والظفر

بالنعيم الدائم والتحرر من قيود الشك والحيرة ووساوس الشيطان والتخلص من اتباع الهوى وولوج الفتن والشبهات وثبات القلب على الهدى ورسوخ الأقدام في طريق الحق والإيمان.

٤. الاستعارة:

تعد الاستعارة أداة الشاعر في عملية الخلق الشعري. وهي أقدر وسائل التعبير الفني على إحداث التأثير المطلوب في المتلقي ومنح التعبير الشعري هويته الفنية والجمالية، إذ تجنح الى تشكيل علائق غير متجانسة وإحداث خروقات غير مسبوقة لتنسحب من فلك المألوف والمتجانس الى نقيض ذلك[١٨]، يقول الدكتور مجيد عبد الحميد: إن الاستعارة عملية خلق جديد في اللغة ولغة داخل اللغة فيما تقيمه من علاقات جديدة بين الكلمات وبها تحدث إذابة لعناصر الواقع وإعادة تركيبها من جديد[١٩]، وبذلك تمنع الاستعارة اللغة الشعرية من الابتذال بما تقوم عليه من مبدأ تجاوز اللغة الدلالية الى اللغة الإيحائية[٢٠]. وتتجلى فنية الاستعارة في قوة تأثيرها وخطر تداعياتها في نفس متذوّقها وصلة ذلك بقوّة الخلق عند مبدعها، تقول الدكتورة رجاء عيد: إن الاستعارة بفعل الطاقة الخلّاقة للمبدع، تعمل على إعادة إنتاج الواقع بأن تنصهر عناصرها لتتخلّق في مركّب جديد يعبّر عن انفعال المبدع ومعاناته ويكشف عن رؤيته الخاصّة للأشياء من حوله[٢١]. وقد لعبت الاستعارة دورا مهما وحيويا في تشكيل الصورة الفنية في مناجيات الإمام (ع)، ومما ورد من استعاراته: استعارة الشجرة للشوق والحديقة للصدر في قوله (إلهِي فَاجْعَلْنا مِنَ الَّذِينَ تَرَسَّخَتْ أَشْجارُ الشَّوقِ إلَيْكَ فِي حَدآئِقِ صُدُورِهِمْ) [٢٢] لكون الشجرة والشوق يمتلكان القدرة أو القابلية على النمو والترعرع والإثمار، وإن الحديقة والصدر يمثلان الحاضنة أو التربة الصالحة للنمو والترعرع، وهما استعارتان تصريحيتان إذ شبه دواعي الشوق بالأشجار في إمكانية النمو والاشتداد ثم حذف المشبه وأبقى المشبه به، وشبه جوانح الصدر بالحديقة فكما أن الحديقة تحتضن البذور حتى تنبت وتصير أشجارا كذلك جوانح الصدر تشتمل على الشوق فينمو بداخلها ويترعرع ثم حذف المشبه وذكر المشبه به على سبيل الاستعارة التصريحية.

واستعارة المصباح أو الجرم المضيء للثناء أو المدح في قوله (وَتَضاءَلَ فِي جَنْبِ إكْرَامِكَ إيَّايَ ثَنَآئِي وَنَشْرِي) [٢٣] وهي استعارة مكنية إذ شبه الثناء بالمصباح ثم حذف المشبه به وجاء بلازمه وهو التضاؤل.

واستعارة السفينة لاتباع منهج الحق في قوله (اللَّهُمَّ احْمِلْنا فِي سُفُنِ نَجاتِكَ) [٢٤] وفيه استعارة خفية تفهم من السياق وذلك أنه لما استعار أمواج البحر للفتن والشبهات قابلها باستعارة السفينة لسلوك طريق الحق، وهي استعارة تصريحية إذ شبه اتباع الحق في عصر مليء بالفتن والشبهات بركوب السفينة في وسط بحر متلاطم الأمواج لكونها وسيلة النجاة من الهلاك المحتوم ثم حذف المشبه وأبقى المشبه به.

واستعارة السربال للقنوط في قوله (وَلا تُلْبِسْنا سِرْبالَ الْقُنُوطِ وَالإبْلاسِ) [٢٥] وأراد معنى الشمول والاستغراق وذلك أن من فقد الأمل واستسلم لليأس وغلب عليه القنوط صار كأنه لبس القنوط كما يلبس الثوب لاشتمال الثوب على اللابس وتلبسه به.

والاستعارة التمثيلية في قوله (وَطَوَّقْتَنِي أَطْوَاقاً لا تُفَلُّ) [٢٦] وذلك أن برَّك بي وإحسانك إلي صرفني عن التوجه الى غيرك أو الطلب من سواك حتى صار ذلك كالقيد يمنعني من الحركة أو الخروج من دائرة الطاعة والعبودية لك.

واستعارة الأشجار لاتساع الشيء ورسوخه في قوله (وَاغْرِسْ فِي أَفْئِدَتِنا أَشْجارَ مَحَبَّتِكَ) [٢٧] وأراد ضاعِفْ محبتك في أفئدتنا واجعلها راسخة لا تؤثر فيها الأهواء كما لا تؤثر الرياح بالشجرة المتجذرة في أعماق الأرض وذلك أن الحب في القلب السليم ينمو ويترعرع ويثمر كما أن الشجرة تنمو وتترعرع وتثمر في التربة الصالحة، ويحتمل أن تكون (أشجار محبتك) استعارة مكنية إذ شبه القلب بالتربة في كونهما بيئة صالحة لغرس شيء ينمو ويترعرع ثم حذف المشبه به وجاء بلازمه وهو الغرس والأشجار.

واستعارة الوجه المبرَّز (السافر) للمعصية المُعرّاة (وَانْزَعْ عَنَّا جَلابِيبَ مُخالَفَتِكَ) [٢٨] وهي استعارة مكنية تخييلية إذ شبه المعصية أو (المخالفة) بالوجه فكما أن الوجه يسفر وتبرز ملامحه إذا رفع عنه الخمار فكذلك

المعصية تتعرّى وتفتضح إذا ازيلت مسوغاتها ودواعيها ثم حذف المشبه به وأبقى على لازمه وهو الجلباب، ويحتمل أن تكون استعارة تصريحية فيكون شبه الأهواء بالثياب في إمكانية خلعها والتخلص منها فضلا عن كونها تزيّن المعصية للإنسان كما تزيّن الثياب البدن ثم حذف المشبه وذكر المشبه به وأراد أنه يمكن للنفس بالإرادة الصلبة والتوفيق الإلهي أن تتخلص من أهوائها ونزعاتها المنحرفة كما يتمكن الإنسان من أن يخلع ثيابه الرديئة أو المتسخة ويتخلص منها.

واستعارة الحلاوة للسعادة في قوله (وَأَذِقْنا حَلاوَةَ عَفْوِكَ) [٢٩] وذلك أن الإنسان يأكل الحلوى في المناسبات السعيدة ولا شك أن أسعدَ لحظة على الإنسان أن يستشعر عفو الله تعالى عنه، ويحتمل أن تكون استعارة تبعية، أي متّعنا بعفوك، فيكون من قبيل تشبيه ما يدرك من أثر العفو والسعادة بما يدرك من طعم الحلاوة ولما كان قد استعار الإذاقة للعفو أتبعه بلازمه وهو الحلاوة.

واستعارة الثوب للذل في قوله (إلِهِي أَلْبَسَتْنِي الْخَطايا ثَوْبَ مَذَلَّتِي) [٣٠] وذلك لاشتماله عليه والتصاقه به كما أن الثوب يشتمل على اللابس ويلتصق به فكأن الذل لما باشره ولصق به صار ثوبا له، ولما استعار الثوب جاء بما يناسبه وهو الفعل (ألبس) وأراد: جعلتني الخطايا ذليلا.

واستعارة الجريان لانسيابية الذكر والتسبيح في قوله (وَمِنْ أَعْظَمِ النِّعَمِ عَلَيْنا جَرَيانُ ذِكْرِك عَلى أَلْسِنَتِنا) [٣١] أي صار ذكرك على ألسنتنا من الانسيابية والديمومة كأنه ماء النهر الذي يجري بانسيابية وتدفق، وهي استعارة تصريحية إذ شبه انسيابية ذكر الله على لسان المؤمن بجريان الماء في الأنهار لكونهما أداة للتطهير والشعور بالحيوية والاطمئنان وذلك أن الماء الجاري يطهر الإنسان من الأدران والنجاسات المادية والمعنوية ويجدد نشاطه وحيويته فكذلك ذكر الله يطهر الإنسان من أدران الذنوب ويجلي قلبه وينقّيه من كل شائبة أو شبهة، وهو قوله تعالى (إن الحسنات يذهبن السيئات) [٣٢]، ويشعره بالرضا والسعادة والاطمئنان من خلال

العزوف عن التعلق بالدنيا ومتاعها الزائل والتطلع الى ما عند الله من نعيم مقيم وحياة أبدية، وهو قوله تعالى (ألا بذكر الله تطمئن القلوب) [٣٣] .

واستعارة الثوب للعفو في قوله (وَقَدْ أَلْجَأَتْنِي الذُّنُوبُ إِلَى التَّشَبُّثِ بِأَذْيالِ عَفْوِكَ) [٣٤] وهي استعارة مكنية تخييلية إذ شبه العفو بالثوب المسدل الذي يزين لابسه كما يجمّل العفو صاحب الذنوب بإسقاطها ومحوها عنه ثم حذف المشبه به وجاء بلازمه وهو الأذيال، ويحتمل أن يكون شبه سعة عفو الله وشموله بالثوب الطويل الذي يخطُّ الأرض ويفترشها عند المشي، فكما يشتمل الثوب على جميع البدن ويغطيه فكذلك عفو الله يتسع لجميع الذنوب ويشتمل عليها ويحجبها عن الناس فيقي صاحبها من الفضيحة والعار، ثم حذف المشبه وأبقى المشبه به على سبيل الاستعارة التصريحية.

واستعارة الحبل للدين في قوله (وما حَقُّ مَنِ اعْتَصَمَ بِحَبْلِكَ أَنْ يُخْذَلَ) [٣٥] وهي استعارة تصريحية إذ شبه الدين بالحبل بوصفهما أداة للنجاة فكما أن الحبل ينجي من يتعلق به من السقوط أو الهلاك فكذلك الدين يعصم صاحبه من الغواية والضلال ثم حذف المشبه وأبقى المشبه به.

واستعارة الإبل للعباد في قوله (وَذُدْنا عَنْ مَوارِدِ الْهَلَكَةِ) [٣٦] وهي استعارة مكنية تخييلية إذ شبه الخلائق بالإبل في الانقياد المطلق لسائسها ثم حذف المشبه به وأثبت متعلقاته وهما الذود والموارد، واستعار الهلكة للضلال أو الانحراف في العقيدة والسلوك، لأنه يؤدي بصاحبه الى الهلاك، على سبيل الاستعارة التصريحية.

واستعارة العروة للعطف في قوله (وَحَمَلَتْنِي الْمَخافَةُ مِنْ نِقْمَتِكَ عَلَى التَّمَسُّكِ بِعُرْوَةِ عَطْفِكَ) [٣٧] إذ خيل لنا أن العطف قد حل بمكان أو موضع له باب وقد امسك الخائف بعضادة تلك الباب للاحتماء به، أي لقد جعل للعطف بابا من طريق الاستعارة المكنية وحذف المستعار منه وهو الباب وأثبت لازمه وهو العروة.

واستعارة الموت للقسوة والحياة للين والخشوع في قوله (وَأَماتَ قَلْبِي عَظِيمُ جِنايَتِي، فَأَحْيِهِ بِتَوْبَةَ مِنْكَ) [٣٨] وذلك لأن القلوب القاسية لا تلين ولا تخشع لذكر الله وآياته الصادحة بالحق، والذي لا يتحرك ولا يتأثر

بمثير خارجي فهو كالميتة أو الجماد الذي ليس فيه حياة، وهي استعارة تصريحية إذ شبه القسوة بالموت ثم حذف المشبه وأثبت المشبه به، وكذلك استعارة الحياة للين لأن من طبيعة الحي أن يستجيب للمؤثرات الخارجية والقلب الحي هو الذي يلين ويتأثر بالذكر والعبادة ويشعر بالخوف والألم وتأنيب الضمير وغير ذلك من المشاعر والأحاسيس الوجدانية وهي استعارة تصريحية إذ شبه اللين بالحياة ثم حذف المشبه وذكر المشبه به.

واستعارة الموبقات للكبائر في قوله (أَسْأَلُكَ يا غافِرَ الذَّنْبِ الْكَبِيرِ وَيا جابِرَ الْعَظْمِ الْكَسِيرِ أَنْ تَهَبَ لِي مُوبِقاتِ الْجَرآئِرِ) [٣٩] وذلك لما يحدثانه من أثر خطير لكون الكبائر تودي بصاحبها الى الهلاك أو الشقاء كما أن المهالك أو الحوادث العظيمة تلحق ضررا كبيرا بالإنسان وقد تودي بحياته، وهي استعارة تصريحية إذ شبه الكبائر بالموبقات ثم حذف المشبه وأثبت المشبه به وأضافه الى المعاصي أو (الجرائر).

واستعارة الغمامة للرحمة في قوله (إلِهِي ظَلِّلْ عَلَى ذُنُوبِي غَمامَ رَحْمَتِكَ) [٤٠] لكونهما يحجبان شيئا مهلكا ويدفعان خطرا محدقا إذ تحجب الرحمة نار الآخرة عن الإنسان المذنب كما يحجب الغمام حرارة الشمس عن الإنسان ويظلل له من لهيبها، ويحتمل أن يكون استعار الأدران للذنوب لكونها تنجس البدن كما تنجس الذنوب قلب الإنسان العاصي وهي استعارة مكنية إذ شبه الذنوب بالأدران ثم حذف المشبه به وأبقى لازمه وهو الغمام المتجمع المحمل بالمطر الغزير وأراد: طهِّر ذنوبي بماء الرحمة كما يطهر ماء الغمام بدن الإنسان من الأدران والأوساخ.

واستعارة الآفات للمعاصي في قوله (وَتُجَنِّبُنا مِنَ الافاتِ) [٤١] وهي استعارة تصريحية إذ شبه المعصية بالآفة لأن المعصية تفسد الدين كما تفسد الآفة الزروع وتتلفها ثم حذف المشبه وذكر المشبه به على سبيل الاستعارة.

واستعارة السبع للمنية في قوله (وَعَلَّقْتنا بِأَيْدِي الْمَنايا فِي حَبائِلِ غَدْرِها) [٤٢] إذ يشتمل النص على استعارتين، الأولى استعارة السبع للمنية وهي استعارة مكنية فقد شبه المنية بالسبع في كونهما يفاجئان فريستهما فكما أن السبع يتحين الفرصة لمفاجئة الفريسة والانقضاض عليها فكذلك الموت يفتك بالإنسان فجأة ومن دون إنذار سابق أو موعد محدد ثم حذف المشبه به وأبقى لازمه وهو اليد، أو تكون من باب الاستعارة التخييلية أي جعلتنا في قبضة المنية وتحت حكمها وإن فعل المنية بالإنسان فعل القابض على الشيء يقلبه بيده، والثانية استعارة الصياد للمنية إذ شبه المنية بالصياد في الإمهال والمكر والخديعة فكما أن الصياد يلقي شباكه ويتلطف في إخفائها ليصطاد بها فريسته فكذلك المنية في إعراضها وإمهالها للإنسان قبل أن توقع به فجأة وتصطاده على حين غرَّة ثم حذف المشبه به وجاء بلازمه وهو الحبال.

واستعارة الركن، وهو الجبل، للشخص القوي العزيز، ولعله أراد به الإمام المهدي (ع)، أو لعزة الله ومنعته في قوله (وَأَنْ تُؤْوِيَنا إلى شَدِيدِ رُكْنِكَ) [٤٣] وهي استعارة تصريحية إذ شبه الشخص القوي بالجبل في شدته ومنعته ثم حذف المشبه وأثبت المشبه به، ويحتمل أن يكون مجازا مرسلا علاقته الجزئية وأراد: آونا إليك، لأنك مصدر القوة والقدرة والأمان وبيدك مقاليد كل شيء وكل من في السماوات والأرض يلوذ بك ويستند الى ركنك ويحتمي بعزك ومنعتك.

المبحث الثاني: أثر القرآن الكريم في تشكيل الصورة:

١. الألفاظ: وردت ألفاظ كثيرة من القرآن الكريم في مناجيات الإمام (ع)، نذكر منها ما يأتي:

لفظ (مأوى) وهو من الألفاظ القرآنية التي وردت في مواضع عدة نحو قوله تعالى (أولئك مأواهم جهنم) [٤٤] واستعمله الإمام في قوله (وَيا مَأْوَى الْمُنْقَطِعِينَ) [٤٥].

ولفظ (المستضعفين) وهو من الألفاظ القرآنية التي وردت في مناسبات عدة، منها قوله تعالى (إلاّ المستضعفين من الرجال والنساء والولدان) [٤٦] واستعمله الإمام في قوله (وَيا ناصِرَ الْمُسْتَضْعَفِينَ) [٤٧].

ولفظ (عروة) وهو من الألفاظ التي وردت في القرآن الكريم في موضعين فقط وبصيغة واحدة في قوله تعالى (فقد استمسك بالعروة الوثقى) [٤٨] واستعمله الإمام في قوله (وَحَمَلَتْنِي الْمَخافَةُ مِنْ نِقْمَتِكَ عَلَى التَّمَسُّكِ بِعُرْوَةِ عَطْفِكَ) [٤٩].

ولفظ (سكينة) وهو من الألفاظ القرآنية التي وردت في مواضع عدة نحو قوله تعالى (ثم أنزل الله سكينته على رسوله) [٥٠] واستعمله الإمام في قوله (وَأَنْ تُنْزِلَ عَلَيْنا مِنْ سِكَيْنَتِكَ) [٥١].

ولفظ (الميزان) وهو من الألفاظ التي وردت في القرآن الكريم في موضعين فقط مقترنا بالضراء، وهما قوله تعالى (قد مسّ آباءنا السراء والضراء) [٥٢] وقوله (قد مسّ آباءنا الضراء والسراء) [٥٣] واستعمله الإمام في قوله (فَأَلْهِمْنا ذِكْرَكَ فِي الْخَلاءِ وَالْمَلاءِ، وَاللَّيْلِ وَالنَّهارِ، وَالإِعْلانِ وَالإِسْرارِ، وَفِي السَّرَّآءِ وَالضَّرَّآءِ) [٥٤].

ولفظ (سرائر) وهو من الألفاظ التي وردت في القرآن الكريم في موضع واحد فقط وهو قوله تعالى (يوم تبلى السرائر) [٥٥] واستعمله الإمام في قوله (وَانْتَفَتْ مُخالَجَةُ الشَّكِّ عَنْ قُلُوبِهِمْ وَسَرآئِرِهِمْ) [٥٦].

ولفظ (معين) وهو من الألفاظ القرآنية التي وردت في مواضع عدة نحو قوله تعالى (يطاف عليهم بكأس من معين) [٥٧] واستعمله الإمام في قوله (وَعَذُبَ فِي مَعِينِ الْمُعامَلَةِ شِرْبُهُمْ) [٥٨]

ولفظ (شرب) وهو من الألفاظ التي وردت في القرآن الكريم في موضعين فقط، هما قوله تعالى (كل شرب محتضر)[٥٩]وقوله (هذه ناقة الله لها شرب)[٦٠]واستعمله الإمام في قوله (وَعَذُبَ فِي مَعِينِ الْمُعامَلَةِ شِرْبُهُمْ) [٦١].

ولفظ (يرتعون) وهو من الألفاظ التي وردت في القرآن الكريم في موضع واحد فقط وهو قوله (أرسله معنا غدا يرتع ويلعب) [٦٢] واستعمله الإمام في قوله (وَفِي رِياضِ الْقُرْبِ وَالْمُكاشَفَةِ يَرْتَعُونَ) [٦٣].

ولفظ (غطاء) وهو من الألفاظ التي وردت في القرآن الكريم في موضعين فقط، هما قوله تعالى (الذين كانت أعينهم في غطاء عن ذكري) [٦٤] وقوله (فكشفنا عنك غطاءك) [٦٥] واستعمله الإمام في قوله (قَدْ كُشِفَ الْغِطآءُ عَنْ أَبْصَارِهِمْ) [٦٦].

ولفظ (تجارة) وهو من الألفاظ القرآنية التي وردت في مواضع عدة نحو قوله تعالى (فما ربحت تجارتهم) [٦٧] واستعمله الإمام في قوله (وَرَبِحَتْ فِي بَيْعِ الدُّنْيَا بِالاخِرَةِ تِجارَتُهُمْ) [٦٨].

ولفظ (الرين) وهو من الألفاظ التي وردت في القرآن الكريم في موضع واحد فقط، وهو قوله تعالى (بل ران على قلوبهم) [٦٩] واستعمله الإمام في قوله (وَبِالرَّيْنِ وَالطَّبْعِ مُتَلَبِّساً) [٧٠].

٢. التناص: عمد الإمام (ع) الى تشكيل صوره ببراعة وحرفية عالية، ولعبت الصورة في كلامه دورا نفسيا في التأثير في المتلقي فضلا عن دورها في التعبير عن المعاني بطريقة فنية، وكان للصور القرآنية حضور فاعل في فكر الإمام ولذلك جاء التناص في مناجياته مع صور قرآنية عديدة، منها:

صورة الرجل المتلبّس بالفتن المكتوي بنارها الذي جعلته غرضا لسهامها وأصابت منه مغنما عظيما، في قوله (وَلا تُصَيِّرَنِي لِلْفِتَنِ غَرَضاً) [٧١]، وقد وردت في قوله تعالى (كلما ردوا الى الفتنة أركسوا فيها) [٧٢] وقوله (ومن يرد الله فتنته فلن تملك له من الله شيئا) [٧٣].

وصورة الرجل الخائف المستجير الذي لا ملجأ يأوي إليه ولا ملاذ يحتمي به وما من شيء يعصمه من مكاره الدنيا ونوائب الدهر سوى الله عز وجل، في قوله (وَلا نَجاةَ لِي مِنْ مَكارِهِ الدُّنْيا إلاَّ بِعِصْمَتِكَ) [٧٤]، وقد وردت في قوله تعالى (لا ملجأ من الله إلاّ إليه) [٧٥] وقوله (لا عاصم من أمر الله إلاّ من رحم) [٧٦].

وصورة الرجل الغافل عن ذكر الله الذي تمادى في طلب الدنيا وعزف عن الآخرة ولها عنها وقد غفا ونام وعشعشت على رأسه الطير وباضت وأفرخت وهو غارق في ملذاته وأحلامه طالب عرض الدنيا الزائل زاهد في الآخرة ونعيمها الدائم لا يحرك ساكنا ولا ينتبه من طول نومته ولا يصحو من شدة سكرته، في قوله (إلهِي إلَيْكَ أَشْكُو نَفْساً... مَمْلُوَّةً بِالْغَفْلَةِ وَالسَّهْوِ) [٧٧]، وقد وردت في قوله تعالى (اقترب للناس حسابهم وهم في غفلة معرضون) [٧٨] وقوله (يا ويلنا قد كنا في غفلة من هذا) [٧٩].

وصورة التوكل الحقيقي على الله الذي يعكس إيمانا راسخا ويقينا متحققا بأن الله وحده القادر على كل شيء وبيده وحده مقاليد السماوات والأرض، ويستدعي تسليما مطلقا بقدرة الله وحسن تقديره ولطف مشيئته وحكمة تدبيره)، في قوله (وَإذا تَوَكَّلَ عَلَيْهِ أَحْسَبَهُ وَكَفَاهُ) [٨٠] وقد وردت في قوله تعالى (ومن يتوكل على الله فهو حسبه) [٨١].

وصورة الرجل المفلس عند الله وهو من ضيّع الحقوق بالبخل وأحبط عمله بالجزع فهو أشد الناس اضطرابا وأكثرهم خسرانا، في قوله (إنْ مَسَّهَا الشَّرُّ تَجْزَعُ، وَإنْ مَسَّهَا الْخَيْرُ تَمْنَعُ) [٨٢] وقد وردت في قوله تعالى (إذا مسه الشر جزوعا وإذا مسه الخيرمنوعا) [٨٣].

وصورة الرجل الجلف الجافي المطبوع على قلبه المملوء قساوة وغلظة وقد عبث به الشيطان بوسواسه وتخبّطه بمسّه، في قوله (إلهِي إلَيْكَ أَشْكُو قَلْبَاً قاسِياً مَعَ الْوَسْواسِ مُتَقَلِّباً، وَبِالرَّيْنِ وَالطَّبْعِ مُتَلَبِّساً) [٨٤] وقد وردت في مشاهد عدة في القرآن الكريم نحو قوله تعالى (فويل للقاسية قلوبهم من ذكر الله) [٨٥] وقوله (فلولا إذ جاءهم بأسنا تضرعوا ولكن قست قلوبهم وزين لهم الشيطان) [٨٦].

وصورة من غرّته الدنيا وضيّعته الغفلة وحدا به الأمل فانغمس في الموبقات والمعاصي وأعرض عن ذكر ربه وتماهل في التوبة وتثاقل عن الاستغفار، في قوله (إلهِي إلَيْكَ أَشْكُو نَفْساً..... تُسْرِعُ بِي إلَى الْحَوْبَةِ، وَتُسَوِّفُنِي بِالتَّوْبَةِ) [٨٧]، وقد وردت في قوله تعالى (وليست التوبة للذين يعملون السيئات حتى إذا حضر أحدهم الموت قال إني تبت الآن) [٨٨].

وصورة من يعبث به الشيطان ويزيّن له عمله القبيح ويعلّق قلبه بالدنيا ويملؤه بالهواجس ليزعزع ثقته بالله ويجرّه الى الغواية والضلال والمنكر، في قوله (إلهِي أَشْكُو إلَيْكَ عَدُوّاً يُضِلُّنِي، وَشَيْطَاناً يَغْوِينِي، قَدْ مَلأَ بِالْوَسْواسِ صَدْرِي، وَأَحاطَتْ هَواجِسُهُ بِقَلْبِي يُعاضِدُ لِيَ الْهَوى، وَيُزَيِّنُ لِي حُبَّ الدُّنْيَا) [٨٩] وقد وردت في قوله

تعالى (وإذ زيّن لهم الشيطان أعمالهم وقال لا غالب لكم اليوم من الناس وإني جار لكم) [٩٠] وقوله (أفمن زُيّن له سوء عمله فرآه حسنا) [٩١].

وصورة الرجل الآيس من الشيء ثم لا يلبث أن يجده في متناول يده، وهذا أوقع في النفس وأشد تعلقا في القلب لأن الشيء إذا عزّ طلبه واستنفد لأجله الجهد ولم يكن يتصوّر حصوله أو تحققه وإذا به يظفر به ويستحوذ عليه فعندها يكون نيله أحلى وأشغف وموقعه من النفس أجل وألطف، عبّر عنها الإمام (ع) في قوله (وَإنْ أَوْحَشَ ما بَيْنِي وَبَيْنَكَ فَرْطُ الْعِصْيانِ وَالطُّغْيانِ، فَقَدْ آنَسَنِي بُشْرَى الْغُفْرانِ وَالرِّضْوانِ) [٩٢]، وقد وردت في قوله تعالى (حتى إذا استيئس الرسل وظنوا أنهم قدكذبوا جاءهم نصرنا) [٩٣].

وصورة من يدفعه خوفه ممّن هو ناقم عليه الى أن يستجير به من نفسه وهو ممسك بعضادة بابه لا يبرح مكانه حتى يصفح عن جريرته ويرضى عنه من بعد نقمته وسخطه، في قوله (وَحَمَلَتْنِي الْمَخافَةُ مِنْ نِقْمَتِكَ عَلَى التَّمَسُّكِ بِعُرْوَةِ عَطْفِكَ) [٩٤]، وقد وردت في قوله تعالى (قل إني لن يجيرني من الله أحد) [٩٥].

وصورة الحبيب الذي لا يشغله شيء عن وصال حبيبه، الذي يبادله الشوق بالشوق والوصال بالوصال، وهو لا ينفك يلهج بذكره ويسعد بمناجاته ووصاله، في قوله (يا مَنْ سَعِدَ بِرَحْمَتِهِ الْقاصِدُونَ، وَلَمْ يَشْقَ بِنِقْمَتِهِ الْمُسْتَغْفِرُونَ، كَيْفَ أَنْسَاكَ وَلَمْ تَزَلْ ذاكِرِي؟) [٩٦]، وقد وردت في قوله تعالى (فاذكروني أذكركم) [٩٧].

وصورة من وضع في عنقه طوق محكم لا يفلُّ فهو منقاد أبدا الى سائسه، في قوله (وَطَوَّقْتَنِي أَطْوَاقاً لا تُفَلُّ) [٩٨]، فمن عادة الرجل الكريم إذا أحسن إليه أحد فكأنه قيّد عنقه بفعل ذلك الإحسان وصار كأنه أسير له، فكيف بمن يحسن إليه ربٌّ كريم لا يفتأ يغدق عليه من نعمه وألطافه ويغشاه بعطفه ورحمته؟ فهل يستطيع الفكاك من قيده وإحسانه؟ وقد أخذها الإمام من قوله تعالى (سيطوّقون ما بخلوا به يوم القيامة) [٩٩].

وصورة الرجل الخائف المستجير الذي دارت عليه الدوائر وأوصدت الأبواب في وجهه فلم يجد موئلا يلتجئ إليه إلاّ موئلا واحدا ولا بابا يطرقه إلاّ بابا واحد هو باب الله الذي يأمن عنده الخائف ويستكين به الملهوف

المطارد، عبّر عنها الإمام (ع) في قوله (أَتَيْتُكَ ....طارِقاً بابَكَ، مُسْتَكِيناً لِعَظَمَتِكَ وَجَلالِكَ)[100]، وقد وردت في قوله تعالى (حتى إذا ضاقت عليهم الأرض بما رحبت وضاقت عليهم أنفسكم وظنّوا أن لا ملجأ من الله إلاّ إليه)[101].

المبحث الثالث: الدراسة الأسلوبية:

- أسلوب الاستفهام:

ورد الاستفهام باستعمال الحرف (هل) في قوله (إلهِي هَلْ يَرْجِعُ الْعَبْدُ الابِقُ إلاَّ إلَى مَوْلاهُ أَمْ هَلْ يُجِيرُهُ مِنْ سَخَطِهِ أَحَدٌ سِواهُ؟)[102] وقد خرج عن معناه الحقيقي للدلالة على النفي، والتعبير بالاستفهام عن النفي أبلغ وأقوى في تأكيد المعنى.

وفي قوله (إلهِي هَلْ تُسَوِّدُ وُجُوهً خَرَّتْ ساجِدَةً لِعَظَمَتِكَ؟)[103] خرج الى معنى النفي، أي لا ينبغي أن ينسب ذلك الى إليك فعدلك ولطفك وإحسانك تقتضي خلاف ذلك، أو يكون خرج الى معنى التكذيب، فهو يكذب من يدعي على الله وينسب إليه ما لا يليق به فينزّه الله عن الحيف أو عدم الإحسان، فليس من اللطف والإحسان أن يعذب الله عبدا مؤمنا أو يحشره في زمرة الأشقياء.

وحرف الاستفهام (الهمزة) في قوله (إلهِي أَتَراكَ بَعْدَ الإيْمانِ بِكَ تُعَذِّبُنِي، أَمْ بَعْدَ حُبِّي إيَّاكَ تُبَعِّدُنِي، أَمْ مَعَ رَجآئِي لرحمَتِكَ وَصَفْحِكَ تَحْرِمُنِي، أَمْ مَعَ اسْتِجارَتِي بِعَفْوِكَ تُسْلِمُنِي؟)[104] خرج الى معنى النفي، أي لا يكن منك ذلك وأنزّهك أن تخيّب مؤمنا متيّما بك راجيا لرحمتك مستجيرا بعفوك أو تحرمه من لطفك أو تبعده عن ساحة رضاك وعفوك.

وفي قوله (أَأَقْطَعُ رَجآئِي مِنْكَ وَقَدْ أَوْلَيْتَنِي ما لَمْ أَسْأَلْهُ مِنْ فَضْلِكَ؟)[105] خرج الى معنى النفي، أي لا يكون مني هذا كما لا يكون منك ذلك وإني أربأ بنفسي أن أتوجّه الى غيرك وأنزّهك أن تخذل عبدا التجأ إليك أو اعتصم بحبلك.

وفي قوله (أَيَحْسُنُ أَنْ أَرْجِعَ عَنْ بابِكَ بِالْخَيْبَةِ مَصْرُوفاً؟)[106] خرج الى معنى النفي، أي لا يحسن مثل هذا إزاء الخالق سبحانه، إذ ينبغي على المؤمن أن يحسن الظن بالله وأن لا يلجأ إلاّ إليه ولا يطرق بابا غير بابه.

وفي قوله (لَيْتَ شِعْرِي، أَلِلشَّقآءِ وَلَدَتْنِي أُمِّي، أَمْ لِلْعَنآءِ رَبَّتْنِي؟)[107] خرج الى معنى التعجب لتأكيد أن المؤمن كثير التعرض للشقاء والابتلاء في الدنيا لأنها دار ابتلاء وتمحيص، ومصداق ذلك قوله تعالى (ما كان الله ليذر المؤمنين على ما أنتم عليه حتى يميز الخبيث من الطيب)[108].

وفي قوله (وَلَيْتَنِي عَلِمْتُ أَمِنْ أَهْلِ السَّعادَةِ جَعَلْتَنِي؟ وَبِقُرْبِكَ وَجَوارِكَ خَصَصْتَنِي؟)[109] خرج الى معنى التمني، فالمؤمن يتمنى على الله ويأمل منه أن يوفقه للتقوى والصلاح ليكون من أهل السعادة في الآخرة ويحظى بجوار الله وقربه.

واسم الاستفهام (من) في قوله (إلهِي مَنِ الَّذِي نَزَلَ بِكَ مُلْتَمِساً قِراكَ فَما قَرَيْتَهُ؟ وَمَنِ الَّذِي أَناخَ بِبابِكَ مُرْتَجِياً نَداكَ فَما أَوْلَيْتَهُ؟)[110] خرج الى معنى التكذيب لتنزيه الله تعالى أن ينسب إليه مثل ذلك وهو الكريم الذي يعطي من سأله ومن لم يسأله ويفيض على عباده بالرزق من دون منّة أو عوض. ويحتمل أن يكون أفاد معنى التكثير، أي هكذا هو دأبك وشأنك أن تقري ضيفانك وأن تعطي سائليك وأن تلبي نداء من يدعوك ويستجير بك ملتمسا فضلك راجيا نداك وسعة كرمك.

واسم الاستفهام (ما) في قوله (فَما عُذْرُ مَنْ أَغْفَلَ دُخُولَ الْبابِ بَعْدَ فَتْحِهِ؟)[111] خرج عن معناه الحقيقي للدلالة على التوبيخ، أي ما كان ينبغي على المؤمن أن يغفل عن الإنابة والتوبة.

واسم الاستفهام (كيف) في قوله (إلهِي نَفْسٌ أَعْزَزْتَها بِتَوْحِيدِكَ، كَيْفَ تُذِلُّها بِمَهانَةِ هِجْرانِكَ؟ وَضَمِيرٌ انْعَقَدَ عَلى مَوَدَّتِكَ كَيْفَ تُحْرِقُهُ بِحَرارَةِ نِيرانِكَ؟)[112] خرج الى معنى النفي لتنزيه الله تعالى من كل فعل ينافي

صفات ذاته و أفعاله، فالله كتب على نفسه الرحمة وإن الرحمة واللطف من أسمائه عز وجل، وهما يقتضيان أن لا يعرّض سبحانه مؤمنا الى الهوان أو يعذب قلبا انعقد على مودته.

وفي قوله (كَيْفَ أَرْجُو غَيْرَكَ وَالْخَيْرُ كُلُّهُ بِيَدِكَ؟! وَكَيْفَ أُوَمِّلُ سِوَاكَ وَالْخَلْقُ وَالاَمْرُ لَكَ؟)[١١٣] خرج الى معنى التعجب أو الإنكار التوبيخي، فالإمام وإن كان قد توجّه بالخطاب الى نفسه غير أنه يعني به الرعية فهو يعجب من العبد– أو يستنكر عليه– الذي يرجو مخلوقا مثله ناقصا فقيرا محتاجا الى غيره ويتأمل منه الخير أو المعروف ولا يتوجّه برجائه وطلبه الى ربه الكامل الغني الصمد الذي له الملك والحول وبيده مقاليد كل شيء، ومن يفعل ذلك يكون قد بلغ غاية الجهل والسفه والعناد.

وفي قوله (كَيْفَ أَنْسَاكَ وَلَمْ تَزَلْ ذاكِرِي؟! وَكَيْفَ أَلْهُو عَنْكَ وَأَنْتَ مُراقِبِي؟!)[١١٤] خرج الى معنى النفي، أي ليس من المروءة أن يغفل العبد عن ربه وهو متنعم بألطافه غارق بنعمه وأفضاله، ومن السفه أن ينغمس في اللهو وملذات الدنيا وهو يعلم أن هناك ربا عظيما جبارا مطّلعٌ عليه ومُحْصٍ عليه حركاته وسكناته. أو يكون أفاد معنى التعجب ممّن هم على هذه الحال من السفه والغفلة إزاء عناية الله بهم ومراقبته لأفعالهم.

- أسلوب الأمر:

ورد الأمر باستعمال فعل الأمر (كن) في قوله (وَكُنْ لِي عَلَى الاَعْدآءِ ناصِرًا)[١١٥] إذ خرج الأمر عن معناه الحقيقي لإفادة معنى الامتنان أي امنن علي بالنصر على أعدائي، وذلك أن من دواعي سرور المر أن يمكنه الله من عدوه الذي يتربص به ويتحيّن الفرصة للإيقاع به أو إيذائه أو تصفيته، ولا شك أن المؤمن حريص على أن يستعين بالله ويلتجأ إليه ليظفره الله على عدوه أو يدفع عنه ضرره أو يشغله عنه بما يشاء من فتنة أو نائبة أو ابتلاء.

والفعلين (اجعل، صيّر) في قوله (إلهِي لَيْسَ لِي وَسِيلَةٌ إِلَيْكَ إلاَّ عَواطِفُ رَأْفَتِكَ، وَلا لِي ذَرِيعَةٌ إِلَيْكَ إلاَّ عَوارِفُ رَحْمَتِكَ، وَشَفاعَةُ نَبِيِّكَ نَبِيِّ الرَّحْمَةِ، وَمُنْقِذِ الأُمَّةِ مِنَ الْغُمَّةِ، فَاجْعَلْهُما لِي سَبَباً إِلى نَيْلِ غُفْرانِكَ، وَصَيِّرْهُمَا لِي وُصْلَةً إِلَى الْفَوْزِ بِرِضْوانِكَ) [116] أفاد الدعاء بالتوفيق لالتماس مغفرة الله ورضوانه، وهما منية الإنسان وجل ما يصبو إليه إذ تتلخص حياة الإنسان ووجوده وغاياته ومقاصده بهاتين المرحلتين، فالأولى (المغفرة) تنقّيه من شوائب الصفات الذميمة كحب الأنا والكبر والرياء والتعلق بالدنيا والانغماس في الشهوات وتطهره من أدران الذنوب والمعاصي لينطلق منها الى المرحلة الثانية وهي الظفر بالرضوان وما يتصل به من التلذذ بقربه سبحانه ووصاله واستشعار مودته وعطفه وذلك الهدف الأسمى والنعمة الأكبر، وهو قوله تعالى (ورضوان من الله أكبر) [117] ووسيلته الى ذلك استدرار رأفة الله ورحمته ورجاء شفاعتة النبي الأكرم (ص) وذلك أن من دواعي عطف الله على هذه الأمة ورأفته بهم ورحمته لهم أن يشفِّع فيهم نبيَّه وحبيبه محمد (ص) سيد المرسلين وأول المشفعين.

والفعلين (امنن، انظر) في قوله (وَامْنُنْ بِالنَّظَرِ إِلَيْكَ عَلَيَّ، وَانْظُرْ بِعَيْنِ الْوُدِّ وَالْعَطْفِ إِلَيَّ) [118] إذ خرج الأمر في قوله (امنن) عن معناه الحقيقي للدلالة على معنى مجازي يفهم من السياق وهو التشوق لاستشعار عطفك والالتذاذ بفيض لطفك وسعة رحمتك كما يلتذ الرائي للحديقة الغنّاء أو الى كل ما يبهج نفسه ويثلج فؤاده، وفي قوله (انظر) افاد الدعاء بالتوفيق لأن أكون جديرا بأن تحوطني بعطفك وإحسانك وأن تنظر إلي بعين ودّك لا بعين عدلك.

والفعلين (ظلل، أرسل) في قوله (إلهِي ظَلِّلْ عَلَى ذُنُوبِي غَمامَ رَحْمَتِكَ، وَأَرْسِلْ عَلى عُيُوبِي سَحابَ رَأْفَتِكَ) [119] أفاد الدعاء لاستنزال رحمة الله طلبا للمغفرة واستدرار عطفه ورأفته طمعا في الستر وخوفا من الفضيحة، وقد وظف تقنية الاستعارة للتعبير عن المعنى المقصود وأراد: اغسل ذنوبي بماء رحمتك، أي ارحمني بعفوك عني ومغفرتك لي وطهّر قلبي من نجاسة ذنبي ومعصيتي كما يطهر الماء البدن من الأدران والنجاسات،

واستر عيوبي برأفتك ولا تفضحني بين عبادك بأن تكشف لهم وتطلعهم على حقيقة سريرتي، بل احجبها عنهم فلا يطلع عليها أحد سواك كما يحجب السحاب المتجمّع ضوء الشمس عن سطح الأرض. والأفعال (تب، أعف، ارفق) في قوله (إلهِي بِقُدْرَتِكَ عَلَيَّ تُبْ عَلَيَّ، وَبِحِلْمِكَ عَنِّي اعْفُ عَنِّي، وَبِعِلْمِكَ بِي ارْفَقْ بِي) [١٢٠] أفاد الدعاء للبحث عن وسائل فاعلة لاجتياز عقبات ثلاث هي (انحراف المسار، إعادة التأهيل، الحساب) ولذلك قرنها بـ (التوبة، العفو، الرفق)، فالتوبة لتصحيح المسار، والعفو لتطهير النفس مما علق بها من أدران الذنوب، واللطف بوصفه وسيلة النجاة يوم القيامة. والنص فيه من صحة التقسيم ودقة التعبير وحسن البيان ما يعجب السامع ويشغل القارئ ويسحر المتذوق، فقد ذكر ثلاثة أشياء وقرن إليها ما يناسبها ويتمّمها، وكان عليه بحكم العادة وقوانين الأشياء أن يقرن الحلم الى القدرة والعفو الى الحلم، فالأصل في العفو أن يكون عن حلم والأصل في الحلم أن يكون عن قدرة وهو قولهم في مأثور الكلام (قدر فحلم فعفا) ولكنه لم يفعل ذلك بل قرن التوبة الى القدرة والعفو الى الحلم والرفق الى العلم وذلك لتسليط الضوء على الحلقة المفقودة في النص لإتمام المعنى والكشف عن الغرض المقصود، وهذه الحلقة هي (الخشية) في السلسلة الأولى و (العز) في السلسلة الثانية، فالتوبة لا تصدر من العبد إلاّ عن خشية من المعبود والخشية لا تقع من العبد إلاّ بتصوّر قدرة المعبود، كما أن العفو لا يصدر إلاّ عن حلم والحلم لا يكون إلاّ عن عز وامتناع، وأما اقتران الرفق بالعلم فبيانه أن الرفق أو التلطف ما لم يكن عن علم ووعي وإدراك لم يقع في موضعه ولم يحسن.

والأفعال (تمم، ادفع، آت) في قوله (فَتَمِّمْ عَلَيْنَا سَوابِغَ النِّعَمِ، وَادْفَعْ عَنَّا مَكارِهَ النِّقَمِ، وَآتِنا مِنْ حُظُوظِ الدَّارَيْنِ أَرْفَعَها وَأَجَلَّها عاجِلاً وَآجِلاً) [١٢١] إذ خرج الأمر عن معناه الحقيقي للدلالة على التمني إذ يتطلع الإنسان المؤمن الى أن يحوطه الله تعالى بسوابغ نعمه وأن يفيض بها عليه من لطفه وكرمه، وقد قرنها بدفع المكاره لأن النعم لا قيمة لها إذا ما شابتها منغصّات الحياة وأذهبت بريقها نوائب الدهر وغوائل الأيام، والنقمة في

اللغة هي المكافأة بالعقوبة، أي فكذلك إذا كانت النعم في معرض الابتلاء والتمحيص أو الفخ والاستدراج أو العقوبة والانتقام فقد يمدُّ الله للعبد بالنعم الكثيرة والصلات العظيمة وإن كان مرتكبا للكبائر مستخفا بالذنوب والمعاصي موغلا في ظلمه وعناده وتجبّره ليأخذه بعد ذلك أخذ عزيز مقتدر، قم قرن ذلك بحظّه في الآخرة لأن تلك النعم حتى لو لم يشبها شيء من المكاره والمحن أو لم تكن في معرض السخط والنقمة تبقى تافهة حقيرة لا طعم لها ولا مطمع فيها، لكونها زائلة ولذّتها منقطعة، ما لم تكن وصلة أو مدخلا الى الظفر بنعيم الآخرة الدائم ورضوان الله وجواره الذي هو منى النفس ومبتغاها وجلُّ ما يصبو أو يتطلّع إليه العبد.

والأفعال (ألهم، جنب، يسر، أحلل، اقشع، اكشف، أزهق، أثبت) في قوله (اللَّهُمَّ أَلْهِمْنا طاعَتَكَ، وَجَنِّبْنا مَعْصِيَتَكَ، وَيَسِّرْ لَنا بُلُوغَ ما نَتَمَنّى مِنِ ابْتِغاءِ رِضْوانِكَ، وَأَحْلِلْنا بُحْبُوحَةَ جِنانِكَ، وَاقْشَعْ عَنْ بَصائِرِنا سَحابَ الارْتِيابِ، وَاكْشِفْ عَنْ قُلُوبِنا أَغْشِيَةَ الْمِرْيَةِ وَالْحِجابِ، وَأَزْهِقِ الْباطِلَ عَنْ ضَمآئِرِنا، وَأَثْبِتِ الْحَقَّ فِي سَرائِرِنا) [١٢٢] أفاد الدعاء لتحديد أطر السلوك العبادي الذي ينظم علاقة الإنسان بخالقه ويرسم له خارطة النجاة ويحدد له أبعادها ويتحكَّم بالمصير الذي سيؤول إليه العبد يوم القيامة ابتداء من التمكين من الطاعة وتعزيز ملكة الاستعداد لاجتناب المعصية الى ترسيخ الإيمان في القلب لإزالة دواعي الشكوك ورفع أغطية الشبهات والتوفيق للأعمال الصالحة التي تأخذ بيد العبد الى رضوان الله وتسكنه فسيح جناته وصولا الى التسديد الإلهي للثبات على منهج الحق واستنكار الباطل ومحاربته.

والأفعال (ألهم، آنس، استعمل، جاز) في قوله (فَأَلْهِمْنا ذِكْرَكَ فِي الْخَلاءِ وَالْمَلاءِ، وَاللَّيْلِ وَالنَّهارِ، وَالإِعْلانِ وَالإِسْرارِ، وَفِي السَّرّآءِ وَالضَّرّآءِ وَآنِسْنا بِالذِّكْرِ الْخَفِيِّ، وَاسْتَعْمِلْنا بِالْعَمَلِ الزَّكِيِّ، وَالسَّعْيِ الْمَرْضِيِّ، وَجازِنا بِالْمِيزانِ الْوَفِيِّ) [١٢٣] إذ خرجت الأفعال الأربعة عن ممعناها الحقيقي للدلالة على معان مجازية تفهم من السياق، إذ أفاد الفعلان (ألهم، آنس) معنى الدوام والاستمرارية، أي أدم ذكرك على ألسنتنا في كل حين

وعلى كل حال وأُنسنا بلذيذ مناجاتك، في حين أفاد الفعل (استعمل) معنى التسخير والتفويض أي سخّرنا لصالح الأعمال وللجهاد في سبيلك ولإعلاء كلمتك وفوّضنا بذلك وأوكله إلينا، أما الفعل (جاز) فدلّ على الامتنان أي امنن علينا بلطفك ورحمتك واجعلهما ميزانا لأعمالنا عند الحساب.

والأفعال (حقق، اختم، اجعل) في قوله (فَحَقّقْ فيكَ أَمَلِيْ وَاخْتِمْ بِالْخَيْرِ عَمَلِي، وَاجْعَلْنِي مِنْ صَفْوَتِكَ) [١٢٤] أفاد الدعاء لتدعيم ركيزتين أو غايتين يسعى إليهما العبد المؤمن وهما حسن العاقبة وجوار الله (أو القرب منه) ولهاتين الركيزتين محددان رئيسان هما سلامة الاعتقاد واتزان السلوك، ولا شك أن الإنسان المؤمن يتطلع دوما الى مد حبل الوصال بينه وبين ربه ليكون من صفوة عباده وخاصّتهم وخالصتهم كما أن من توفيق الله تعالى لعبده المؤمن أن يحسن عاقبته، وهذا يتصل بأمور عديدة أهمها نيَّة الإنسان وعمله واستعداده للإيثار والتضحية والعطاء وصفاء روحه وطهارة قلبه ونقاء سريرته وورعه وتقواه وتفانيه في الطاعة والعبادة والذكر.

والأفعال (اسلك، سير، قرب، سهل، ألحق) في قوله (إلهي فاسْلُكْ بنا سُبُلَ الْوُصُولِ إلَيْكَ، وَسَيّرْنا فِي أَقْرَبِ الطُّرُقِ لِلْوُفُودِ عَلَيْكَ، قَرّبْ عَلَيْنَا الْبَعِيدَ، وَسَهّلَ عَلَيْنَا الْعَسِيرَ الشَّدِيدَ، وَأَلْحِقْنا بِعِبادِكَ الَّذِينَ هُمْ بِالْبِدارِ إلَيْكَ يُسارِعُونَ) [١٢٥] وأفاد الدعاء الذي يأتي هنا لرسم الإطار العام للاعتقاد الصحيح ونبذ الاعتقادات الفاسدة ووضع العبد على عتبة المسار الذي يأخذ بيده الى النجاة يوم القيامة من خلال تحديد الأولويات في طريق الإنسان الطويل نحو الإيمان الخالص ثم بلوغ درجة الرضا والاطمئنان وصولا الى درجة اليقينية، ويبدو هذا التدرج واضحا في قوله (وَسَيّرْنا فِي أَقْرَبِ الطُّرُقِ لِلْوُفُودِ عَلَيْكَ) الى قوله (فَبِكَ إلى لَذِيذِ مُناجاتِكَ وَصَلُوا، وَمِنْكَ أَقْصى مَقاصِدِهِمْ حَصَّلُوا).

والأفعال (احمل، متع، أورد، أذق، اجعل، أخلص) في قوله (اللَّهُمَّ احْمِلْنا فِي سُفُنِ نَجاتِكَ، وَمَتّعْنا بِلَذِيْذِ مُناجاتِكَ، وَأَوْرِدْنا حِياضَ حُبّكَ، وَأَذِقْنا حَلاوَةَ وُدّكَ وَقُرْبِكَ، وَاجْعَلْ جِهادَنا فِيكَ، وَهَمَّنا فِي طاعَتِكَ، وَأَخْلِصْ

نِيَّاتِنا فِي مُعامَلَتِكَ) [١٢٦] أفاد الدعاء لاستحضار المشيئة الإلهية لهداية العبد الى انتهاج طريق الحق وانتشاله من الواقع الموبوء بالفتن والشبهات الى ثم ترويض النفس وتحفيزها على الالتذاذ بالمناجاة والذكر والعبادة لتعزيز أواصر الود والوصال مع الذات الإلهية المقدسة وصولا الى تحديد الغاية الأسمى التي ينصرف إليها العبد وينشغل بها ويستنزف عصارة جهده ويسخّر كل إمكاناته وطاقاته لأجل تحقيقها وهي بناء العلاقة الوطيدة مع الله التي ترتكز على دعامتين رئيستين هما الإخلاص في النية والصدق في التوجه والعمل.

والأفعال (زهد، سلم، انزع، تول، أوفر، أجمل، أغرس، أتمم، أذق، أقرر، أخرج) في قوله (إلهِي فَزَهِّدْنا فِيها، وَسَلِّمْنا مِنْها بِتَوْفِيقِكَ وَعِصْمَتِكَ، وانْزَعْ عَنَّا جَلابِيبَ مُخالَفَتِكَ، وَتَوَلَّ أُمُورَنا بِحُسْنِ كِفايَتِكَ، وَأَوْفِرْ مَزِيدَنا مِنْ سَعَةِ رَحْمَتِكَ، وَأَجْمِلْ صِلاتِنا مِنْ فَيْضِ مَواهِبِكَ، وَاغْرِسْ فِي أَفْئِدَتِنا أَشْجارَ مَحَبَّتِكَ، وَأَتْمِمْ لَنا أَنْوارَ مَعْرِفَتِكَ، وَأَذِقْنا حَلاوَةَ عَفْوِكَ، وَلَذَّةَ مَغْفِرَتِكَ، وَأَقْرِرْ أَعْيُنَنا يَوْمَ لِقآئِكَ بِرُؤْيَتِكَ، وَأَخْرِجْ حُبَّ الدُّنْيا مِنْ قُلُوبِنا) [١٢٧] إذ أفاد الدعاء لتحديد المسار المثالي الذي للإنسان للوصول الى الله تعالى في فكر الإمام (ع) الذي يبدأ بالخطوة الأولى وهي احتقار الدنيا، وهو قوله (فزهدنا فيها) لأن إفراغ النفس من حب الدنيا ومن التعلق بنعيمها الزائف وملذاتها الفانية هو المنطلق لبناء الشخصية الإنسانية التكاملية، إذ تتسامى شيئا فشيئا حتى تصل الى الأنموذج أو ،، الكمال النسبي،، تلك التي يباهي بها الله ملائكته لترويضا للنفس وكبحها للغرائز واستعدادها للسمو والعطاء وامتلاكها القدرة على إحداث التأثير في الآخرين، وسنجد أنها الخطوة الأهم ضمن خطوات ذلك المسار الرباني لموقعها الاستراتيجي في النص بوصفها الفكرة الرئيسة أو نقطة التمركز التي تتمحور حولها الأفكار والمضامين الأخرى، ولعل هذا يفسر لنا علة انتهاء النص بها وهذا أشبه بحلقة مفرغة أو العودة الى نقطة الانطلاق، ثم يتدرج بالمواقف او الخطوات الساندة وأبرزها التحصين من المعصية في قوله (وَانْزَعْ عَنَّا جَلابِيبَ مُخالَفَتِكَ) كأن الإنسان لممارسته المعصية قد تلبّس بها والتصقت به كما يلتصق الثوب بالبدن ولذلك استعار لها الثياب وأتبعها بما يناسبها وهو النزع أو الخلع، ثم استعانة العبد

بمولاه وتولّيه ليكفيه أموره في الدنيا والآخرة في قوله (وَتَوَلَّ أُمُورَنا بِحُسْنِ كِفايَتِكَ)، ثم الإقرار بضعف المخلوق وضآلته وهوانه في قبال قدرة الخالق وعظمته وسلطانه ولذلك فهو المحتاج دوما الى من يغمره بعطفه ويفيض عليه من سعة رحمته وهو قوله (وَأَوْفِرْ مَزِيدَنا مِنْ سَعَةِ رَحْمَتِكَ)، ثم تأتي المعرفة بالله في قوله (وَأَتْمِمْ لَنا أَنْوارَ مَعْرِفَتِكَ) لأن المعرفة بالله هي التي تمكن الإنسان أن يتحرر من عبودية الغرائز ويتوجه الى الله بكل جوارحه وخوالج نفسه، وصولا الى الغاية الأسمى وهي القرب من الله وإقرر العين برؤيته في قوله (وَأَقْرِرْ أَعْيُنَنا يَوْمَ لِقآئِكَ بِرُؤْيَتِكَ)، ورؤية الله تعبير مجازي مقصود به ،، استشعار اللطف الإلهي،، ليعمد بعد ذلك الى إقفال النص أو تدويره بالعودة الى نقطة الابتداء وهي احتقار الدنيا ونبذها في قوله (وَأَخْرِجْ حُبَّ الدُّنْيا مِنْ قُلُوبِنا) لأن حب الدنيا– كما تقدَّم– يجعل الإنسان أسيرا لرغباته ونوازعه مما يعيقه في تأدية المهمة التي أوكلها الله إليه في الأرض وهي التوجيه والهداية والإصلاح.

- أسلوب النهي:

ورد النهي في قوله وفي قوله (وَلا تَصْرِفْ عَنِّي وَجْهَكَ) [١٢٨] أفاد معنى الدعاء، وأراد: جنّبني كل فعل قبيح أو معصية تقطع حبل الوصال بيني وبينك وتعرضّني لمقتك وإعراضك عني.

وفي قوله (وَلا تَقْطَعْنِي عَنْكَ، وَلا تُبْعِدْنِي مِنْكَ يا نَعِيمِي وَجَنَّتِي) [١٢٩] أفاد الدعاء، أي وفّقني لكل عمل يعزّز صلتي بك ويقربني منك وافتح لي أبوابا وطرقا أسلكها الى نيل رضوانك وكسب الحظوة عندك.

وفي قوله (إلهِي لا تُغْلِقْ عَلى مُوَحِّدِيكَ أَبْوابَ رَحْمَتِكَ، وَلا تَحْجُبْ مُشْتاقِيكَ عَنِ النَّظَرِ إلَى جَمِيلِ رُؤْيَتِكَ) [١٣٠] أفاد الدعاء لشموله بالرحمة والعطف الإلهي، فلا شك أن الموحدين تنالهم رحمة من ربهم ويشفع لهم عند الله توحيدهم له سبحانه وأن أبواب الله مشرّعة لجميع خلقه حتى العاصين منهم فكيف يغلقها في وجوه الموحدين؟ ولا شك أن المتيّمين بحب خالقهم يتحسّسون لطفه ويستشعرون جميل إحسانه وعطفه وكأنهم

يرونه بأعينهم، ومن هنا جاء الدعاء بالتوفيق للوحدانية الحقّة التي لا يشوبها ذنب ولا تعكّر صفوها معصية لأن الله تعالى لا قرابة بينه وبين خلقه ولا شيء ينجي صاحب الذنب إلاّ توبته وعفو الله عنه ولطفه به.

وفي قوله (إلهِي فَلا تُخْلِنا مِنْ حِمايَتِكَ، وَلاَ تُعْرِنَا مِنْ رِعَايَتِكَ) [١٣١] أفاد الدعاء الذي يأتي هنا لتجسيد فلسفة هذه المناجاة التي اصطلح عليها بـ (مناجاة المعتصمين) وهي ترسيخ مبدأ التوكل على الله والاعتصام بحبله في كل الأزمنة والظروف وذلك عن طريق تحديد أطر العلاقة بين المخلوق وخالقه من خلال الإقرار بضعف المخلوق إزاء قدرة الخالق وعظمته بوصفه سمة من سمات العبودية الحقة والطاعة المطلقة لله والتسليم لإرادته وقضائه وحكمه وتأكيد حاجة الفرد للرعاية والتسديد الإلهي وأن لا يوكل الإنسان الى نفسه لأنه أحقر وأعجز من أن يدرأ عنها ضرا أو يجلب لها نفعا.

وفي قوله (فَلا تُولِني الْحِرْمانَ، وَلا تُبْلِنِي بِالْخَيْبَةِ وَالْخُسْرانِ) [١٣٢] أفاد الدعاء بالتوفيق لصدق النيّة وإخلاص العمل لأن من لم يكن عمله خالصا لله مجردا عن المصالح الضيّقة أصيب بالخيبة والخذلان لأن الله إنما يتقبّل من المتقين من الذين يؤثرون الدار الآخرة على الدنيا ويبتغون وجه الله في كل ما يصدرون ويوردون ويتطلعون الى مغفرته ورضوانه، ومن لم يكن كذلك تعرّض للجفاء أو الحرمان أو ابتلي بالندامة والخسران فقد يضيّق الله على العاصي أو يبتليه بسوء عمله وبما جنت يداه أو يحرمه استجابة الدعاء لتأديبه ووحثّه على الإنابة والتوبة، ومن هنا جاء الدعاء بتوجّه حقيقي ونيّة خالصة ليكون ممّن يحظى بتأييد الله ولطفه محوطا بعنايته راتعا بكنفه مستظلا بفيئه ورحمته.

وفي قوله (فَلا تُقابِلْ آمالَنا بِالتَّخْيِيبِ وَالايئاسِ، وَلا تُلْبِسْنا سِرْبالَ الْقُنُوطِ وَالإِبْلاسِ) [١٣٣] أفاد الدعاء، وذلك لأن من أشد الآفات خطرا على المؤمن اليأس من استجابة الدعاء والقنوط من رحمة الله لكونهما يتسببان في تدمير الإيمان وزعزعة الإرادة لتصحيح المسار مما يسهّل الوقوع في شرك الغواية والانحراف العقدي والسلوكي، ومن هنا جاء التوجه الى الله بالدعاء والتضرع إليه للوقاية والتحصين من هاتين الآفتين ودرء

شرهما المدمر وخطرهما الفتاك، وقد لعب التضاد بين (الأمل) و (اليأس) دورا مهما في زيادة التأثير النفسي لدى المتلقي لغلبة قوّة الآمال، مدعومة بعوامل محفّزة (ضمير الجماعة واستدرار كرم الله ولطفه بنسبة المقابلة إليه وقوّة تأثير الدعاء)، على ضعف الإيئاس وانعزاله، وتأمل إضافة الآمال الى ضمير المتكلمين بدلا من ياء المتكلم وهذا غاية في التأدب في الحوار مع الله والوفاء للرعية، إذ قد ضمّ الإمام (ع) آماله الى آمال الجماعة لما في ذلك من التواضع ونبذ الأنا وإيثاره لحاجات الناس ورغباتهم على حاجاته ورغباته ولأن الله تعالى يبارك بالجمع المؤمن وينظر إليهم قبل أن ينظر الى الفرد فضلا عن تعزيز الرابط الاجتماعي بين أفراد الأمة الإسلامية.

الخاتمة:

توصل الباحث من خلال الدراسة والتحليل وقراءة النصوص قراءة نقدية فاحصة الى نتائج عديدة، نوجزها بما يأتي:

١. وظف الإمام (ع) تقنية التضاد في مناسبات عديدة في مناجياته لزيادة التأثير الانفعالي في نفس المتلقي، من خلال تفريغ مشاعر الخوف والاضطراب والقلق، ونقل المتلقي من الشعور السلبي الى الشعور الإيجابي من خلال ترجيح كفة الشعور بالأمن والسكون والاطمئنان.

٢. استعمل الإمام (ع) البنية الاسمية لتحقيق نكات دلالية ونفسية عديدة منها التعبير عن البعد النفسي للإنسان المؤمن في مناجاته لله عز وجل والتضرع إليه، ومنها الإقرار والتسليم لله بأنه الرب المعبود المستحق للإلوهية من خلال تأكيد قدرته وهيمنته على الوجود لأن عفو الله منوط بقدرته، والإنابة إليه دليل على سطوته وإحكام قبضته على خلقه وهيبتهم من جبروته وخشيتهم من سخطه وانتقامه، ومنها الدلالة على الاستقرار النفسي ومطابقة القول للاعتقاد والإفصاح عن حقيقة الشعور بالتقصير إزاء الخالق الذي لا يبرح يغمر عباده بالعطاء ويسبغ عليهم بالنعماء والشعور بالذنب تجاه تضييع فرصة القرب من الله والظفر

بمرضاته، وكذلك الإفصاح عن صدق النية وصفاء السريرة وبعد الهمة والعزيمة على الإقبال الخالص نحو الخالق سبحانه والتوجه الحقيقي إليه والاتكال عليه وحده في تصريف الأمور واستنزال الخير وتيسير الرزق وقضاء الحاجات.

٣. استعمل الإمام (ع) البنية الفعلية لتحقيق وظائف عديدة منها التعبير عن حالة القلق والاضطراب التي تنتاب الإنسان لحظة الشعور بالندم على موقف معيّن أو التقصير إزاء التوجه الخالص لله تعالى أو الشعور بالذنب إزاء الخطيئة أو المعصية أو الانسلاخ عن الفطرة السليمة التي فطر الله الناس عليها، ومنها تغطية البعد الحركي للصورة كحركة الهواجس وقد زحفت إليه وأحاطت به وضربت حصارا على قلبه أو حركة أعضاء النطق في حال الاشتغال بالذكر والمناجاة وكذلك حركة مجاهدة النفس والصراع مع الشهوات والانشغال بالطاعات والعبادات، ومنها الانتقال من حالة أو هيئة الى حالة أخرى كالانتقال من ظلمة الضلال الى نور الإيمان ومن عري الذل الى حجب العز ومن فضاء الإعراض والإهمال والمقت الى قيد الود والوصال والقربى أو الانتقال من حركة الإحسان والفضل وهو يفيض ويتدفق ويغمر المكان الذي يشغله وتدفق النعم التي يتلو بعضها بعضا الى سكون الذهول والعجز والغفلة والإعياء أو الانتقال من اتباع الهوى ووساوس الشيطان وولوج الفتن والشبهات الى ثبات القلب على الهدى ورسوخ الأقدام في طريق الحق والإيمان وكذلك الانتقال من التلوث العقدي الى نقاء الإيمان وطهارته ومن دائرة الشك وحيرة الشبهة الى اليقين والتسليم المطلق ومن حالة البعد والإعراض والمقت الى حالة القرب والصفوة والرضوان.

٤. لعبت الاستعارة دورا مهما وحيويا في تشكيل الصورة الفنية في مناجيات الإمام (ع)، وقد استعمل الإمام ثلاثة أنماط من الاستعارة هي الاستعارة التصريحية ومن مصاديقها استعارة الشجرة للشوق والحديقة للصدر، واستعارة السفينة لاتباع منهج الحق، واستعارة السربال للقنوط، واستعارة الأشجار لاتساع الشيء ورسوخه، واستعارة الموبقات للكبائر، واستعارة الجريان لانسيابية الذكر والتسبيح، واستعارة الموت للقسوة والحياة للين

والخشوع، والاستعارة المكنية ومن مصاديقها استعارة المصباح أو الجرم المضيء للثناء أو المدح، واستعارة الثوب للعفو، واستعارة الإبل للعباد، واستعارة العروة للعطف، واستعارة السبع للمنية، واستعارة الأدران للذنوب، واستعارة الوجه المبرَّز للمعصية المُعرّاة، والاستعارة التمثيلية ومن مصاديقها استعارة الأطواق أو القيود التي لا تفل لإحسان الله وبره.

٥.كان للصور القرآنية حضور فاعل في فكر الإمام (ع) ولذلك جاء التناص في مناجياته مع صور قرآنية عديدة عمد الإمام الى تشكيلها ببراعة وحرفية عالية، ومنها صورة الرجل المتلبِّس بالفتن المكتوي بنارها الذي جعلته غرضا لسهامها وأصابت منه مغنما عظيما، وصورة الرجل الجلف الجافي المطبوع على قلبه المملوء قساوة وغلظة وقد عبث به الشيطان بوسواسه وتخبّطه بمسّه، وصورة الرجل المفلس الذي ضيّع الحقوق بالبخل وأحبط عمله بالجزع فهو أشد الناس اضطرابا وأكثرهم خسرانا، وصورة الرجل الغافل عن ذكر الله الذي تمادى في طلب الدنيا وعزف عن الآخرة ولها عنها وهو غارق في ملذاته وأحلامه لا يحرك ساكنا ولا ينتبه من طول نومته ولا يصحو من شدة سكرته، وصورة الرجل الخائف المستجير الذي لا ملجأ يأوي إليه ولا ملاذ يحتمي به وما من شيء يعصمه من مكاره الدنيا ونوائب الدهر سوى الله عز وجل، وصورة من يدفعه خوفه ممّن هو ناقم عليه الى أن يستجير به من نفسه وهو ممسك بعضادة بابه لا يبرح مكانه حتى يصفح عن جريرته ويرضى عنه من بعد نقمته وسخطه، وصورة من وضع في عنقه طوق محكم لا يفلُّ فهو منقاد أبدا الى سائسه، وصورة الحبيب الذي لا يشغله شيء عن وصال حبيبه، الذي يبادله الشوق بالشوق والوصال بالوصال، وهو لا ينفك يلهج بذكره ويسعد بمناجاته ووصله.

٦.وظف الإمام (ع) أساليب بلاغية عديدة للتعبير عن المعنى المقصود بلغة فنية تأثيرية منها الأمر والنهي والاستفهام، وقد خرجت هذه الأساليب في كلام الإمام عن معانيها الحقيقية الى دلالات مجازية تزيد في قوة المعنى وثباته في النفس وتمنح العبارة بعدا جماليا وتأثيريا عاليا، فقد خرج الاستفهام

من دلالته على السؤال الى معان عديدة منها النفي والتعجب والإنكار والتمني والتكذيب والتوبيخ، وخرج الأمر من دلالته على طلب القيام بأمر ما على وجه الوجوب الى معان عديدة منها الدعاء والالتماس والتشوق والتمني والدوام والتسخير والامتنان، أما أسلوب النهي فقد خرج من دلالته على طلب الكف عن أمر ما على وجه الوجوب الى الدعاء في النصوص عينة الدراسة.

هوامش البحث ومراجعه:

-القرآن الكريم.

١ ظ : في الشعرية، كمال أبو ديب، مؤسسة الابحاث العربية – بيروت ، ط ١، ١٩٨٧م : ٤٧.

٢ الصحيفة السجادية الكاملة: الإمام علي بن الحسين زين العابدين (ع)، دار المتقين للثقافة والعلوم والنشر– لبنان، ط١، ٢٠١٢م: ٢٠١

٣ نفسه: ٢٠٣

٤ نفسه: ٢٠١

٥ نفسه: ١٩٥

٦ نفسه: ٢٠١

٧ الصحيفة السجادية الكاملة: ٢٠٣

٨ نفسه: ٢٠٨

٩ نفسه: ٢٠٧

١٠ نفسه: ١٩٤

١١ نفسه: ١٩٧

١٢ نفسه: ٢٠٠

١٣ نفسه: ٢٠٣

١٤ نفسه: ٢٠٣

١٥ نفسه: ٢٠٤

١٦ نفسه: ٢٠٢

١٧ نفسه: ٢٠٤

١٨ ظ : قضايا الشعرية: رومان ياكبسون، ترجمة محمد الولي ومبارك حنوز، دار الوثائق للنشر، ط١ ، ١٩٨٨م:١٥٨

١٩ ظ : الأسس النفسية لأساليب البلاغة العربية، مجيد عبد الحميد ناجي، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع- بيروت، ط١، ١٩٨٤م :١٠٧.

٢٠ ظ : نظرية البنائية، صلاح فضل، دار الشروق- القاهرة، ط ١ ١٩٨٨ م :٣٥٩.

٢١ ظ : فلسفة البلاغة بين التقنية والتطور، رجاء عبيد، منشأة المعارف- الإسكندرية، ١٩٧٩م : ٣٩٥.

٢٢ الصحيفة السجادية: ٢١٢

٢٣ نفسه: ٢٠٣

٢٤ نفسه: ٢٠٤

٢٥ نفسه: ٢٠٣

٢٦ نفسه: ٢٠٣

٢٧ نفسه: ٢١٦

٢٨ نفسه: ٢١٦

٢٩ نفسه: ٢١٦

٣٠ نفسه: ١٩٤

٣١ الصحيفة السجادية الكاملة: ٢١٣

٣٢ سورة هود: ١١٤

٣٣ سورة الرعد: ٢٨

٣٤ الصحيفة السجادية: ٢١٥
٣٥ سورة الرعد: ٢١٥
٣٦ الصحيفة السجادية: ٢١٥
٣٧ نفسه: ٢١٥
٣٨ نفسه: ١٩٤
٣٩ نفسه: ١٩٥
٤٠ نفسه: ١٩٥
٤١ نفسه: ٢١٥
٤٢ نفسه: ٢١٦
٤٣ نفسه: ٢١٥
٤٤ سورة النساء:١٢١
٤٥ الصحيفة السجادية: ٢١٥
٤٦ سورة النساء:٩٨
٤٧ الصحيفة السجادية: ٢١٥
٤٨ سورة البقرة: ٢٥٦ ولقمان: ٢٢
٤٩ الصحيفة السجادية: ٢١٥
٥٠ سورة التوبة: ٢٦
٥١ الصحيفة السجادية: ٢١٥
٥٢ نفسه: ٢١٥
٥٣ سورة الرحمن: ٧
٥٤ الصحيفة السجادية: ٢١١

٥٥ سورة الطارق: ٩

٥٦ الصحيفة السجادية: ٢١٢

٥٧ سورة الصافات: ٤٥

٥٨ الصحيفة السجادية: ٢١٢

٥٩ سورة القمر : ٢٨

٦٠ سورة الشعراء: ١٥٥

٦١ الصحيفة السجادية: ٢١٢

٦٢ سورة يوسف: ٢٢

٦٣ الصحيفة السجادية: ٢١٢

٦٤ سورة الكهف: ١٠١

٦٥ سورة ق: ٢٢

٦٦ الصحيفة السجادية: ٢١٢

٦٧ سورة البقرة: ١٦

٦٨ الصحيفة السجادية: ٢١٢

٦٩ سورة المطففين: ١٤

٧٠ الصحيفة السجادية: ١٩٧

٧١ نفسه: ١٩٧

٧٢ سورة النساء:٩١

٧٣ سورة المائدة:٤١

٧٤ الصحيفة السجادية: ١٩٧

٧٥ سورة التوبة: ١١٨

٧٦ سورة هود: ٤٣
٧٧ الصحيفة السجادية: ١٩٦
٧٨ سورة الأنبياء: ١
٧٩ سورة الأنبياء: ٩٧
٨٠ الصحيفة السجادية: ١٩٩
٨١ سورة الطلاق: ٣
٨٢ الصحيفة السجادية: ١٩٦
٨٣ سورة المعارج: ٢١
٨٤ الصحيفة السجادية: ١٩٧
٨٥ سورة الزمر: ٢٢
٨٦ سورة الأنعام: ٤٣
٨٧ الصحيفة السجادية: ١٩٦
٨٨ سورة النساء: ١٨
٨٩ الصحيفة السجادية: ١٩٦
٩٠ سورة الأنفال: ٤٨
٩١ سورة فاطر: ٨
٩٢ الصحيفة السجادية: ٢٠١
٩٣ سورة يوسف: ١١٠
٩٤ الصحيفة السجادية: ٢١٥
٩٥ سورة المؤمنون: ٨٨
٩٦ الصحيفة السجادية: ٢٠٠

٩٧ سورة البقرة: ١٥٢

٩٨ الصحيفة السجادية: ٢٠٣

٩٩ سورة آل عمران: ١٨٠

١٠٠ الصحيفة السجادية: ٢٠٢

١٠١ سورة التوبة: ١١٨

١٠٢ الصحيفة السجادية: ١٩٥

١٠٣ نفسه: ١٩٨

١٠٤ نفسه: ١٩٧

١٠٥ نفسه: ٢٠٠

١٠٦ نفسه: ١٩٩

١٠٧ الصحيفة السجادية الكاملة: ١٩٧

١٠٨ سورة آل عمران ١٧٩

١٠٩ الصحيفة السجادية: ١٩٨

١١٠ نفسه: ١٩٩

١١١ نفسه: ١٩٥

١١٢ نفسه: ١٩٨

١١٣ نفسه: ٢٠٠

١١٤ نفسه: ٢٠٠

١١٥ نفسه: ١٩٦

١١٦ نفسه: ٢٠٩

١١٧ سورة التوبة: ٧٢

١١٨ الصحيفة السجادية: ٢٠٨

١١٩ نفسه: ١٩٥

١٢٠ نفسه: ١٩٥

١٢١ نفسه: ٢٠٤

١٢٢ نفسه: ٢٠٤

١٢٣ نفسه: ٢١٣

١٢٤ نفسه: ٢٠٩

١٢٥ نفسه: ٢٠٦

١٢٦ نفسه: ٢٠٤–٢٠٥

١٢٧ نفسه: ٢١٦

١٢٨ نفسه: ٢٠٨

١٢٩ نفسه: ٢٠٧

١٣٠ نفسه: ١٩٨

١٣١ نفسه: ٢١٥

١٣٢ نفسه: ٢٠٩

١٣٣ نفسه: ٢٠٣